

النشاط الثقافي في العالم

انكلترا

رسالة لندن من شفيق مقار

المشكلة ، في هذا الخصم ، هي ماذا نختار ، وماذا نترك جانبا ؟ بل وكيف ، في حيز محدود كهذا ، تستطيع ان تلم بإبعاد معقولة لهذا النشاط الذي لا يهدأ ولا ينقطع ؟ وعلى اي وجه من اوجهه تركز ؟ وكل ما تتركه او تؤجله ان تستطيع ان تعود اليه . قد يكون ذلك ممكنا فيما يتعلق بالمرح والسينما ومعارض الفن التشكيلي ، لان المسرحية او الفيلم يعرضان على مدى شهر ، وربما سنوات بأكملها ، ومعارض التصوير والنحت ، بل والتصوير الفوتوغرافي ، تجد من سيستول المتهاوتين عليها ما يتيح لها ان تطول شهورا . اما المشكلة فهي الكتب والدوريات الثقافية . فانت لا تدخل مكتبة ، اي مكتبة ، الا وتجد الوجوه تغيرت ، والاصوات اختلفت ، من اسبوع لآخر . وجوه الكتب ، واصوات الكتاب الذين يتصدرون الرفوف الامامية . فالإيقاع السريع المتلاحق ليس في مجال التكنولوجيا التي تسحرنا وحدها ، بل قبلها (وفيما هو اهم منها لانه ما يقديها ، ويدفعها ، ويحركها ، ويحاول بمد ذلك ان يتحكم فيها ويوجهها . . ان استطاع) في الفكر ، في الابداع الفني والادبي ، في الانسانيات ، وكل ما يحاول ان يفهم هذا العالم سريع التغير ، ويجد نسقا ممكنا من الحياة لاهله لللاهثين معه .

هؤلاء اناس لا يكونون من البحث . يريدون ان يكون يوم غد غير اليوم الذي قبله ، وليس افضل منه فحسب .

ولندن تعاني من عقدة نقص اليمة ، واحساس زائد بالنفس . فهي على مرمى حجر من باريس ، وذلك يكفي . فكأنها بلدة ريفية بالقرب من العاصمة . والاجتياح الذي لا يتوقف ، قادمنا عبر المانش (وهمظم الصحف والمجلات البريطانية ، حتى صحيفة المال والاعمال « الفايينشال تايمز » ، تفرد مساحات للمسرح الفرنسي ، والسينما الفرنسية ، ونتاج المطابع الفرنسية ، ذلك الاجتياح يسوط لندن ، فوق انها ، منذ مقدم الربيع ، بدأت كتابها تترج ، وتستعد لاستقبال القادمين عبر الاطلنطي وغير الاطلنطي ، عليها تبهرهم قليلا هي ايضا ، رغم مشكلات التضخم ، والعلاقات الصناعية ، والنزعات الانفصالية التي قويت في اسكتلندا وويلز بعداكتشاف النفط في بحر الشمال ، ومازق السوق الاوروبية المشتركة : تلك الزيجة غير الريحه التي انقسمت بريطانيا على نفسها فيما يخص الاستمرار فيها ، رغم متاعبها ، من عدمه : تريد انهاءها بالطلاق ، ولا تطبيق التفكير في عواقبه .

لكن ذلك كله لم يطمس الوجه الاخر او يطغ عليه : وجه العاصمة الاوروبية الكبرى التي لا تستطيع ان تنسى انها - في يوم غير بعيد - كانت عاصمة للعالم بأسره . فجنبا الى جنب مع مهرجان اللاليه (اهم فقراته زيارة من البولشوي حاولت بعض العناصر الصهيونية استقلالها سياسيا بالتظاهر في ميدان الطرف الاخر) . ومعارض الفن التشكيلي : معرض الصيف ، ومعرض - طغى عليه - لاعمال الانطباعيين الفرنسيين ، لم تتح ان يدخله الا دقيقة واحدة على الاكثر - ان كان محظوظا - امام

كل لوحة من اللوحات التي عرضت به ، من فرط تراحم الاميركيين على الثقافة وهم يمضفون اللبان ويزعقون بأعلى اصواتهم ، وبجانب محاولة - لم توفيق كثيرا - لاجتراء بعض الامجاد المسرحية القديمة . طوفان حقيقي من الكتب .

((رسائل في النقد))

ولنبدا بالكتب . والفريب ان معظم ما له قيمة مما تخرجه المطابع البريطانية هذه الايام مترجم ، وكانما « هيئة الكتاب » ، كرم الله وجهها ، جاءت من القاهرة . وحتى الكتب الهامة التي تحمل اسماء مؤلفين انجليز ، اما اشبه « بالتصافي » ، او مجرد اجترار . كتاب ليفز (F. R. Leavis) الاخير : « رسائل في النقد » (Letters in Criticism) الناشر تشاتو Chatto ، تحرير وتقديم جون تاسكر ، عبارة عن سبعة وستين خطابا وجهها ليفز الى الصحف والمجلات ، في مناسبات مختلفة ، مختلفا مع رأي ، او عارضا وجهة نظر ، او مصححا خطأ ما ، بأسلوب المناظرة ، النصالي بعض الشيء الذي اشتهر به . واهم ما تبرزه الرسائل السبع والستون التي اختارها وجمعها تاسكر بين دفتي الكتاب ، ايمان ليفز بأهية الممارك والاشتبكات الادبية ، او ما يدعوه هو بالمناقشة العلنية المفتوحة ، في الإبقاء على الادب حيا في اذهان الناس واسماعهم ، وجعله قضية آنية مطروحة للنقاش ، ومثيرة للاهتمام . وان اردنا مثلا على معارك ليفز الادبية فلنذكر معاركه المتدوية مع « مستر البيوت » ، ومعركته مع الروائي اللورد سنو (C.P. Snow) التي حاول ليفز ان يضع فيها موضع التطبيق - فكريا - حلم د . هـ . لورنس بجمعهم لم تولونه ونفسه التكنولوجيا . والكتاب الاخير ، في جملته - يبدو كما لو كان تلخيصا للفيز استاذ النقد ، وانحضاء اخيرة قبل نزول الستار . وبالحيقة ، ليس فيه جديد .

(ويبدو ان هذا نوع جديد من الكتب أخذ طريقه الى الازدهار ، فقبل نشر خطابات ليفز الى الصحف بوقت قصير ، نشرت دار فيدنفلد (Weidenfeld) كتاب « آراء قوية » (Strong Opinions) لفلاديمير نابوكوف (لولينا) ، وقد جمع الكتاب فيه كل احاديث الصحفية وخطاباته الى الصحف والمجلات خلال السنوات الماضية ، جنبا الى جنب مع بعض تعليقات ، من قبيل الثروة الادبية ، على مشاهير الكتاب . وتلك خصلة معروفة من خصاله جعلته مطلوبيا بكثرة من جانب كتاب المقابلات الصحفية . ولنستعرض بعض « آرائه القوية » في ذلك المجال . ارنست همنجواي ؟ كاتب كتب اطفال ت.س. البيوت ؟ كاتب درجة ثانية . سارتر ؟ كاتب درجة ثانية ، شأنه شان هنري باربوس (مؤلف الجحيم) . وما عليك ، لكي تتأكد من ذلك ، الا ان تقرا له « الفتيان » ، فتكتشف تحت توترها وحدتها خارجا ، ذلك النوع الرث المتسبب من الكتابة ، داخلا . والبير كامبي ؟ آه ! مسيو كامبي الفظيع . وهكذا . وفي مقابل ذلك ، حركة التفاف دائرية معقدة للغاية تقول في النهاية ان نابوكوف كاتب القرن العشرين لا منازع . وعلام كل هذا ؟ ربما يحس الكاتب انه لم يعد لديه ما يقال ، وانه لم يعد شيئا يذكر ؟)

ذكرى اللورد بايرون

ولنعد الى لندن . فقد احتفلت بريطانيا مؤخرا بالذكرى المائة

يبد كذلك ، يلقي ضووا ، ما في ذلك شك ، على طبيعة الزواج الذي عبر عن نفسه في احياء ذكرى بايرون بنشر بحث اكايمي عن حالته المالية التي كانت مرتبكة ، والتساؤل - بشيء من شرود الذهن - ترى هل بايرون كشاعر مهزلي (في « دوجوان ») افضل ، ام كشاعر مكتئب (في « تشايلد هارولد ») ؟ وذلك في الوقت الذي يحتفي فيه بذكرى شاعر مغمور (قياسا الى بايرون على الاقل) مات في الحرب العالمية الثانية وهو في الرابعة والعشرين ، هو كيث دجلاس (Keith Douglas) الذي تذكرونا حكايته في كتاب زموند جراهام عنه ، بسيفريد ساسون ، وروبرت بروك وغيرهما من شعراء حرب سنة ١٩١٤ ، وان لم يذكرونا شعره بشعرهم . وما من شك في ان كل فنان ، بل كل انسان ، يموت دفاعا عن الحرية ، يستحق ان يذكر ، وان يحتفي بذكراه . لكن بايرون مات هو الاخر دفاعا عن الحرية . ولقد كنا تصور ان قضية الحرية لا تنجزا ، سواء تعلق الامر بحرية اوربا ، او حرية اليونان - او حرية موزمبيق - لكن تلك ، فيما يبدو ، قضية تختلف فيها الاراء . فاسمع ما يقوله كلايف جيمس (Clive James) عن موت بايرون : « اما عن لورد بايرون كمقاتل في سبيل الحرية ، فما من شك في ان اشتراكه في حرب دفاعا عن حرية اليونان كان عملا لا فائدة فيه . ولقد كان من المحتمل ان تضع ميته سدى لولا انها كانت اول برهان في سلسلة متصلة من البراهين بلغت ذروتها بموت تشي جيفارا ، يقيم الدليل على ان حرية بلد من البلدان لا سبيل الى استخلاصها بفضل اشتراك اجانب من ذوي الميول الرومانسية » .

« غراس » مترجمها

وهكذا يجرنا الادب ، مرة اخرى ، الى السياسة . لكن ذلك لا مهرب منه فيما يبدو ، خاصة في عصرنا . انظر مثلا الى الكاتب الالماني جوتتر جراس ، و ترجمة كتابه الاخير « من يوميات قوقع » (From the Diary of A Suail) من اهم ما اخرجته المطابع الانجليزية في الاونة الاخيرة ، وقد قلنا ان اقل القليل من الكتب الهامة التي صدرت مؤخرا هو الذي يحمل اسماء مؤلفين انجليز .

واهمية جوتتر جراس ، بجانب قيمته ككاتب يجيد صنفته ويجدد في بعض حيلها ، انه نموذج مكتمل للمثقف الاوربي المعاصر بكل تناقضاته ، وانقساماته ، وحيرته التي يحاول ان يطورها في رسال متحركة ما لعقيدة ما ، وموقف نبيل ما مريح لنفس من يقفه . واهمية كتاب جراس الاخير انه ينشر بالانجليزية مواكبا سقوط المستشار الالماني السابق فيلي برانت . وجوتتر جراس كان (وما زال فيما نتقند) رجل فيلي برانت ، كما كان اندريه مالرو رجل ديغول . والتشبيه مع الفارق . لان مالرو من عيار اخر تماما ، واكثر حيطة من جراس . فلعل افزع خطر يهدد الفنان هو ان يكون رجل احد . يقول جراس : « ان اول ما اجتذبتني الى فيلي برانت هو انه لا يتحدث عن العدل وكفى ، بسل يتحدث دائما عن مزيد من العدل . ولقد بدا لي ذلك شيئا غير عادي وغير مالوف . لقد كان برانت دائما انسانا مثاليا ورجسلس سياسة . وهو اول زعيم الماني يدخل في عملية الحكم فعلا مفاهيم القرن الثامن عشر الخاصة بالتسامح والنبور ، (بمعنى) انه كان يسلم دائما بوجود امكانيات اخرى ، وايمانات اخرى .. انه الماني اكثر مني .. ومعلم كبير » .

ولقد بدا جراس في اول امره كما لو كان آخذا طريقه الى اليسار . لكنه الان محقن من اليسار بقدر ما هو مكروه من اليمين . فاليساريون يدعونه الخائن الوردي ، اي الليبرالي ، واليمينيون يدعونه كاتب الادب المكشوف الاحمر . فلقد اختار الوسط . وذلك هو المسار الذي يتخذه قوقه الشهير في كتابه هذا .

والخمسين لوفاة شاعرها الرومانسي الكبير جورج جوردون ، لسورد بايرون . والواضح ان الشاعر غير المكتثر لاراء مواطنيه ما زال يثير حيرة مواطنيه ونقمتهم . فقد كانت تلك الذكرى التي احتفل بها احتفالا وقورا مناسبة (مناسبا للانجليز لا لبايرون) فرصة للتساؤل: هل بايرون شاعر عظيم ؟ هل هو شاعر هزلي؟ هل كان افافا بعض الشيء ؟ بل وفرصة للتساؤل ايضا : هل كان موته في ميسولونجي ، دفاعا عن حرية اليونان ، عملا مجانيا ، لا نفع فيه ؟ وما من شك في ان العصر ليس عصر رومانسية - لانه ، بصرف النظر عن حيرة الانجليز وضغبتهم تجاه هذا الشاعر الذي ما زال موقفهم منه اشبه بما كان عليه موقف جيرانهم المتعبين في ايرلندا من اوسكار وايلد وجيمس جويس ، لا تخطيء الاذن ، فيما كتب عن بايرون بمناسبة مرور قرن ونصف على موته ، نيرة سخريه واستخفاف باحلامه ورؤاه التي تبدو الانمراهقة بعض الشيء . ولا ادل على ذلك من ان الكتاب الهام الذي نشر عن الشاعر بمناسبة تلك الذكرى :

« لورد بايرون : كشف حساب ختامي » ، بقلم الباحثة دوريس لانجلي (Doris Langley : Lord Byron - Accounts Aendared) الناشر مري Murray بحث اكايمي متعمق ، كترس لحسابات بيرون وشؤونه المالية (واثبت ان الشاعر كان مدينا ومرتبكا ماليا) ولم يكرس لشعره ، او حتى للخوض في فضائحه العالمية التي يلد الخوض فيها اؤرخي الادب .

ولعل نظرة جانبية سريعة الى ما تخرجه المطابع الانجليزية في مجالات اخرى غير الادب توقفتنا على سر هذه الاستهانة الى حدانفور من شاعر عظيم كلورد بايرون . فعلى مدى اسابيع ولبيلة متلاحقة تصدرت رفوف المكتبات كتب هذه عناوينها : « هتلر » ، بقلم فيرنر مازر - « حياة ادولف هتلر وموته » ، بقلم روبرت بين - « اهداف الحرب التي شنها هتلر » ، بقلم نورمان ريتش - « قواد هتلر » ، بقلم رينشارد همبل . وقد زاحمت هذه العناوين ، على رفوف المكتبات ، العناوين التالية : « جوزف ستالين ، الرجل والاسطورة » ، بقلم رونالد هينجلي - « ستالين : الرجل وعصره » ، بقلم ادام اولام - « ستالين كثوري : ١٨٧٩ - ١٩٢٩ » ، بقلم روبرت تاكر . ولعل تفسير هذه الموجة في ذلك التعليق اللاذع الذي جاء من المانيا الغربية مؤخرا على سلسلة ظسل التليفزيون الانجليزي يبتها طوال شهور عن مقتل جولانز النازي ومحاولات ضباط الحلفاء للهرب منه . فقد قال معاق الماني ان الانجليز - فيما يبدو - يعالجون مشاكلهم الحالية ، الناجمة عن تغير وضع بريطانيا في العالم ، باجتراء دورهم في الحرب العالمية الثانية . ولقد يفسر ذلك فعلا - من جانب ما - هذا الطوفان من الكتب والاعداد الخاصة من المجلات عن تلك الحرب وكل ما له بها اية صلة . خذ مثلا رواية كينيث ماكسي (Kenneth Macksey) وهو ضابط دبابات سابق خدم في معركة نورماندي ، « المعركة » (The Battle) الناشر ماك دونالد وجين ، وهي رواية تدور احداثها حول الدور الذي قامت به كتيبة مشاة ابان الاقتحام الاميركي لشبه جزيرة شربورج . وكهمل رواي لا تزيد قيمة « المعركة » - ان لم تقل - عن كثير من كتب عالجت نفس الموضوع بأسلوب رواي ، وظهرت ابان الحرب وبعدها . لكن الرواية قوبلت بحفاوة غريبة من جانب النقاد ، تماما كما قوبل كتاب « يوم الغزو » (D . Day) وهو عرض تسجيلي لاحداث ذلك اليوم العظيم اشترك في كتابته ثلاثة ممن اشتركوا في القتال الصاري على شاطئ نورماندي ، وكتب مقدمته اميرال الاسطول الايرل ماونتباتن .

نعم ، ما من شك في ان الانجليز يحسون حيننا غريبا لامجاد تلك الحرب ، قد يكون - كما قال ذلك المعاق الالماني - ضريا من التعويض ، وقد يبدو - رغم ذلك - مستغربا من اناس يقفون الان ضد الحرب ويصرون على استهجانها حيشما وقعت ، وايا كانت اسبابها . لكن ذلك الحنين الى ايام الحرب الشجاعة ، سواء بدا لنا غريبا ، او لم

ولعل الاهتمام البالغ الذي قوبل به الكتاب في إنجلترا راجع الى المقارنات الكثيرة التي عقدت يوم استقلال برانت بغير تردد ، بمجرد ان تارت فضيحة التجسس المشهورة ، وراجع ايضا الى ان بريطانيا بعد خيات امل منكرة في اليمين المحافظ ، واليسار العمالي ، بدأت - منذ الانتخابات العامة الاخيرة - تنظر ، بشيء كالأشتياق ، الى الطريق الوسط ، مثلما في حزب الاحرار .

رسائل كافكا

والكتاب الاخر الذي شدّ اهتمام لندن مترجم بدوره ، ومن الانانية . وهو كتاب رسائل . مجموعة خطابات كتبها فرانتز كافكا الى فيليس باور الفتاة التي احبها وعقد خطبته عليها مرتين ، وفسخها مرتين: المرة الاولى بسبب الخوف ، والمرة الثانية بسبب السمل الذي اصيب به ، فتركته وتزوجت من رجل موسر ، وذهبت لتعيش معه في سويسرا ، ثم في امريكا ، تاركة كافكا لحنه الخائب الذي حاول - في رسائله هذه - ان يعيше كتجربة مكتوبة اختلط فيها الواقع بالحلم تماما ، بعد ان فشل فيه كخبرة واقعية معاشة . وقد اوصى كافكا قبل موته بحرق تلك الرسائل بين ما اوصى بحرقه من كتاباته . وخيرا فصل اصداؤه اذ ابقوا عليها ، لان الرسائل مكلمة ليومياته وكوابيسه الابداعية ، وكاشفة بنفس القدر - وفي مواضع بعينها كاشفة بعق اكثر من عاله الفسقي الغريب الاس الذي قد يكون وصفه في هذه الاسطر : « .. نادرا جدا ما ننجح في عبور ارض الحدود تلك الفاصلة بين العزلة والدفقة . تلك كانت دائما ارضي . ولقد عشت فيها اكثر مما عشت في العزلة الكاملة .. وبالمقارنة اليها كم تبدو جزيرة روبنسون كروزو حية جميلة ومبهجة ! »

بيكيت ودوبوفوار

ومن « رسائل الى فيليس » (Letters to Felice) الناشر: Secker and Warburg الى كتاب مترجم اخر ، هو « نصوص بلامودي » (Texts for Nothing) لصامول بكت الذي كتب عن حياته مرة قائلا انه كلما تاملها بدت له اشبه بدرب صحراوية يقطعها نحت سباط قهر لا يرحم وهو آخذ في ترجمة نفسه ، بلا انقطاع ولا مؤدى ، من الفرنسية الى الانجليزية . والنص ليس جديدا ، فهو من مرحلة الثلاثية وجود ، لكنه اذ ينشر مترجما الى الانجليزية ، يتصدر - بعد

كل تلك السنين - قائمة الاعمال الابداعية الهامة التي تنشر ، وما اقلها .

وبعد كتاب بكت ، كتاب آخر مترجم من الفرنسية بدوره ، هو الجزء الرابع من السيرة الذاتية لسيمون دوبوفوار . وقد نشر بالانجليزية بعنوان (ALL Said And Done) الناشر اندريه دويتشي André Deutsch .

واحتفاء الصحافة الادبية بصدوره لفت للنظر . وقد مهدت الصحفية كارولين مورهد لصدوره بحديث طويل وهام اجرته مع سيهون دوبوفوار ، تحدثت فيه الكاتبة الفرنسية عن طفولتها ، ومرحلتها الراهنة ، وتحدثت في السياسة ، طبعا ، وعن السعادة ، وتحرير المرأة ، وعن الزواج ، الذي وصفته بأنه نظام شديد الخطر .

اما الكتاب الذي اجتاحت كل الكتب وتصدر قوائم اكبر المبيعات (Best - Sellers) طوال اسابيع باكملها ، ولا هو كتاب ادب ، او سياسة ، او حتى جنس ، بل تحقيق صحفي بعنوان « احياء » (Alive) بقلم بيرز بول ريد (Piers Paul Read) الناشر Secker and Warburg

بروي فيه كاتبه محنة فريق كرة من اورجواي سقطت به الطائرة في جبال الانديز ، عام ١٩٧٢ . وكانت الطائرة مستأجرة لتثل الفريق وعددا من المشجعين والاصدقاء والاقارب الى مباراة ما . وعندما سقطت بكل اولئك في عاصفة ثلجية ، قتل من ركابها الخمسة والاربعين تسعة وعشرون ، وقضى الناجون عشرة اسابيع في جحيم ثلجي ، اضطروا خلالها الى اكل لحوم اصدقائهم واقاربهم الموتى حتى لا يقتلهم الجوع . وتلك هي المسألة الرئيسية في الكتاب ، والسبب في نجاحه المدي . ولقد كانت ، على مدى اسابيع باكملها - مثار مناقشات ومناظرات وقورة في الصحف والمجلات والبرنامج الثالث (برنامج المثقفين) بالاذاعة . والكتاب الذي زاحم كتاب آكلة لحوم البشر ، كتاب عن الشياطين! رواية « طارد الشيطان » (The Exorcist) بقلم ويليم بيتر بلاتي (William Peter Blatty) وقد حطم هو والفيلم الذي صنع منه كل الارقام القياسية في عالم المجانين هذا . والى رسالة قادمة نتحدث فيها عن المسرح والسينما وموسم الباليه . لندن

الثورة والثورة المضادة

تأليف هربرت ماركوز
ترجمة جورج طرابيشي

نحو حَسَاسِيَّة ثَوْرِيَّةٍ جَدِيدَةٍ

في الوقت الذي توجه فيه الرأسمالية اهتمامها الاول الى اخماد حرائق التمرد والثورة داخل حدودها وخارجها على حد سواء ، تبدو انها شرمت باعادة تنظيم نفسها تحسبا وتحاشيا لخطر ما يزال غامضا لكنه كلي الحضور ، خطر حركة تعانق لاول مرة في التاريخ الكرة الارضية بأسرها . وازاء الاعراض الاولى لهذا الخطر المستطير تنكب الرأسمالية على تأسيس الثورة المضادة وتكريسها . هذا لا يعني انها لم تعد تنجب بنفسها حفاري قبرها ، ولكن وجوههم تختلف اليوم عما كان متوقعا ، كماله يعد شاغلهم الاوحد تغيير العلاقات الانتاجية والطبقية ، وانما ايضا العلاقات بين الانسان والطبيعة ، طبيعته الذاتية والطبيعة المحيطة به ، وكلتاها على حد سواء عرضة اليوم لتخريب منهج .

في هذا الكتاب الجديد الهام يرسم ماركوز ، عبر تعجر النظريات الثورية المهودة ، المعالم العريضة لحساسية ثورية جديدة .

منشورات دار الآداب